

د . عبد رجا سرخان

حركة القوميين العرب

نشأتها نظورها وموقفها من القضية الفلسطينية

[١٩٤٨ – ١٩٦٩]

المؤلف في سطور

عبد رجا سرحان

مواليد صفورية - قضاء الناصرة - فلسطين عام ١٩٤١

أكاديمياً

- نال شهادة ليسانس في الآداب - قسم التاريخ : جامعة بيروت العربية (١٩٦٢ - ١٩٦٦) . (
- نال شهادة الكفاءة للتعليم الثانوي / الجامعة اللبنانية - بيروت (١٩٧٠ - ١٩٧٢)
- أنجز دورتي اختصاص في تدريس مادة الرياضيات للمرحلتين الابتدائية والمتوسطة - معهد التربية / الاونروا (١٩٧٠ - ١٩٧٢)
- نال شهادة ماجستير في الآداب قسم التاريخ / الجامعة اللبنانية (١٩٩١ - ١٩٩٣) بعنوان منظمة التحرير الفلسطينية من مرحلة التأسيس إلى مرحلة بناء المؤسسات (١٩٦٤ - ١٩٦٩) .
- نال شهادة دكتوراه في الآداب قسم التاريخ / الجامعة اللبنانية (٢٠٠٠ - ٢٠٠٥) بعنوان : حركة القوميين العرب نشاتها وتطورها وموقفها من القضية الفلسطينية (١٩٤٨ - ١٩٦٩) .
- نال شهادة شرف تربوي ، مركز التطوير التربوي / أونروا (٢٠٠٠ - ٢٠٠١) .

نضالياً

- انتمى إلى حركة القوميين العرب منذ المرحلة المتوسطة العام (١٩٥٧)
- انتمى إلى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين منذ تأسيسها العام ١٩٦٧ .
- انتخب عضواً في المجلس الوطني الفلسطيني منذ العام ١٩٨٨ (دورة الجزائر) وحتى الآن عضواً في لجنتي اللاجئيين والتربية .

حركة القوميين العرب

إهداء

إلى

د . جورج حبش

القائد المؤسس الذي يعود له الفضل الاول ، والدور الاساس في نشأة حركة القوميين العرب
وتطورها وانتشارها .

إلى

والديّ اللذين حملا آلام النكبة، وأملا في محو آثارها

زوجتي وأبنائي الذين زودوني بالعزيمة والإصرار

حفيدي الاول أدون، رمزاً لجيل لن يرضى عن فلسطين بديلاً

عشاق الارض الذين زرعوها بأجسادهم دماً وحباً وأملاً

الصامدين في فلسطين في معركة الحرية والاستقلال

كل مكافح من أجل وحدة الامة العربية، وتحريرها ، وقيام نهضتها الحديثة

شكر وتقدير

١- أتقدم بجزيل الشكر وعميق الامتنان إلى :

- الذين ساعدوني في الحصول على وثائق ومنشورات، ودوريات ومصادر متعلقة بموضوع البحث، وأخص بالذكر الدكتور محمد جمال باروت.

- القائمين على مكتبات : الجامعة اللبنانية ، جامعة بيروت العربية ، الجامعة الأميركية في بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مركز دراسات الوحدة العربية ، والمركز العربي للدراسات الإستراتيجية ، الذين سهلوا مهمتي في الحصول على المراجع والمصادر والوثائق المفيدة .

٢- إني شديد الامتنان لكل الذين قابلتهم ميدانياً ، وتحدثوا بصدق وحماسة عن تجربتهم مع حركة القوميين العرب، لتحملهم، بصبر مميز، ساعات الحوار الطويلة.

٣- أقدم الشكر الجزيل والامتنان العميق للمشرف الدكتور الأستاذ علي عبد المنعم شعيب لكل ما قدمه من ملاحظات ثمينة ومشجعة، وتوجيهات هامة ، ومساعدة قيمة ، كانت عوناً مهماً في إنجاز هذا البحث على النحو الذي أقدمه.

٤- أتوجه بخالص الشكر وعظيم التقدير للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة :

- الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف سنو

- الأستاذ الدكتور أنطوان حكيم

- الأستاذ الدكتور حسن مبيض

- الأستاذ الدكتور عدنان السيد حسين

الذين تطفوا بقراءة الأطروحة وابداء الملاحظات والاقتراحات والتعديلات التي كان لها عظيم الفائدة في تحسين البحث شكلاً ومضموناً .

٥- شكري وتقديري لجميع العاملين في مركز الغد العربي للدراسات وبشكل خاص الصديق ماهر اليوسفي .

تقديم

بقلم د. جورج حبش

[كتب الحكيم هذا التقديم قبل رحيله بأشهر]

ليس يسيراً الاحاطة بكل مساحة التاريخ، وليس ممكناً أو سهلاً تناول ظاهرة تاريخية سياسية أو اجتماعية بكل جوانبها وجزئياتها واشكالاتها ضمن حيز محدود من الكتابة . مثل ذلك يكون من باب المجازفة وكمن يدخل في دهاليز لا معرفة له بها سابقاً ولا نهاية منظورة لها.

بيد أنني قلت قبل سنتين عاماً ، بعيد النكبة ، أن هناك في أمتنا العربية شباباً لا تتنى عزائمهم، وفي ارادتهم ما يقهر الهول والمستحيل ، وملء أرواحهم ما يتحدى الفناء . هكذا كانت عزيمتنا وارادتنا يوم كنا شباباً ، وما زلنا على ذلك العهد رغم علمي و يقيني أن أمتنا تزخر اليوم بشباب يملكون العزيمة والارادة لقهر كل عوامل التخلف والسلبية الموروثة في أمتنا، ولدحر الاحتلال عن أرضنا العربية . هكذا طبيعة الكفاح ، جيل يسلم الأمانة والراية لجيل يليه ، وإن تغيرت المسميات. فيبقى نور العقيدة متأججا في النفوس ويستمر هديها منيراً لطريق الكفاح الشاق الطويل.

إني اليوم على قناعة راسخة بأن الارادة . ارادة التحدي، وعزم الشباب هما وراء تجربة حركة القوميين العرب الرائدة التي كان لي شرف تأسيسها والتي تناولها الباحث عبد رجا سرحان في كتابه من خلال البحث في ملفات التاريخ السياسي منذ منتصف القرن العشرين ضمن ظاهرة هي من أهم الظواهر السياسية والكفاحية القومية لجيلنا ، ظاهرة الكفاح الوطني والقومي لحركة القوميين العرب، عبر نشأتها وصعودها ، فكرة، واطاراً ، ومساراً الى أن طوت راية كفاحها ليحل مكانها عمل مختلف نوعياً وميدانياً.

وإذا كان باحثنا اليوم قد كابد وعانى من البحث والتنقيب في زوايا ومنعطفات التاريخ القومي الحديث، فإنه جو الواقع قد أزاح بعضاً من الغبار عن مرحلة تكتنز تجربة غنية جدا من النضال القومي لم يكتمل البحث في محطاتها وعناصر حضورها وفعلها وروايتها... كما أضاء الباحث مساحات هامة أمام القارئ والسياسي والمناضل كي يستزيد معرفة ووعياً بتجارب تاريخنا المعاصر، ووعياً آخر ببعض جوانب الإجابات على سؤال ما زال يقلق ملايين الناس من الأمة العربية : لماذا هزمننا..؟ سؤال يطال تاريخ مرحلة ما قبل النكبة وما بعدها...

حين كنا نبحث عن إجابة لهذا السؤال في أوائل الخمسينات، كنا نجتهد بالعمل والفعل، وقد حاولنا تقديم الإجابة عبر تأسيس حركة القوميين العرب، وعبر نضالاتها، ومعاركها السياسية ، فقدمنا ما يمكن أن نسميه جزءاً من الإجابة، ورد فعل على الهزيمة عبر الإيمان بقضيتنا القومية العربية، ووضوح الرؤية، إيماننا بوحدة الهدف والمصير والتاريخ، وتكريسا للإرادة على التغيير. ولم يكن الاستعمار مكتوف الأيدي بل كان يطارد أمتنا في فكرها، وإيمانها، ورؤيتها، وأحزابها.

ظل السؤال حول الهزيمة يرافق مسيرتنا منذ بدايتها. ومع وقع هزيمة حزيران ٦٧ التي ظلت حياتنا ومنطقتنا، واستلاب المزيد من أرضنا الفلسطينية والعربية، قمنا مرة أخرى بحمل راية

حركة القوميين العرب

الكفاح المسلح الفلسطيني وبانطلاق المقاومة المسلحة الشعبية في مواجهة الاحتلال الصهيوني من جهة، وفي مواجهة كل أشكال التآمر والضغوطات الاستعمارية من جهة أخرى ... لم نجب بعد على السؤال بشكل كامل وشامل .. فالإجابة عليه تكمن في التاريخ، وفي قراءة الحاضر واستطلاع المستقبل معاً ، مع نضج الوعي بالهوية القومية وبالكفاح الشعبي المسلح الذي يضمن لهذا الوعي وسيلة النجاح والانتصار... لقد اجتهد باحثنا اليوم في الإجابة على السؤال حول أسباب الهزيمة في ثنايا التاريخ عبر أسئلته في مقدمة بحثه الهام وعبر إجاباته في متن طروحاته القيمة... وما زال هنالك متسع لمزيد من البحث والتحليل للتوسع في الإجابة عن أسباب الهزيمة.

وإذا كان التاريخ لا يتكرر بجزئياته وتفصيله، فإنه في الواقع يكشف لنا دروساً تستنير بها الأجيال القادمة، كما يفصح لنا عن خيارات أخرى في النضال والحياة، و في مسالك الانعتاق من الاحتلال ونهب الثروات، و في مسارات الثورات والتحرير.

وكلي أمل أن ينبري آخر، وثمان، وعاشر من شباب أمتنا العربية في البحث والتنقيب في صفحات تاريخنا، وحاضرنا، للوصول إلى وعي أكبر للإجابات المنشودة . حينها يشد عود كفاحنا بيقين متزايد يدفعنا إلى طريق الانتصار، وطريق وحدة الأمة العربية وسودها.

مقدمة

"إن التاريخ وكل ما ينتمي الى الماضي، لا يمكن أن يتكرر، حتى نستطيع التحقق منه، لقد مضى وانقضى، ولا سبيل إلى استرجاعه بما هو هذا الماضي الذي مضى، ولكنه خلف لنا آثاراً ووثائق وراءه بإمكانها أن تردنا إليه ، فنتمثله من خلال تمثلنا الآثار والوثائق التي خلفها لنا، وبذلك نعصره، ومعاصرتنا إياه، تمكنا من إنشائه من جديد"

ظهرت القومية تياراً سياسياً واجتماعياً فاعلاً ومؤثراً في القرن الثامن عشر في أوروبا، بعد نهضة فكرية وسياسية وتطور اجتماعي، وتحديدأ بعد ظهور قوى اجتماعية جديدة، عنيت بها البرجوازية، التي أزاحت النظام الملكي والإقطاع وتسلط الكنيسة أولاً ، ثم مع ظهور الثورة الصناعية التي أحدثت تغييرات كبرى في المجتمعات الأوروبية ثانياً .

وفي منتصف القرن التاسع عشر، أدت النوادي الأدبية والجمعيات الثقافية العربية دوراً مميزاً في توعية الشعوب القومي، لدى قطاعات واسعة من الجماهير العربية ، كما استكملت هذا الدور، انعكاسات الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ التي رفعت شعارات التحرر والاستقلال القومي، والتي ترافقت مع تأثيرات الحرب العالمية الأولى في تطور الحركة القومية العربية. في أوائل الثلاثينيات من القرن العشرين أسهمت "عصبة العمل القومي " إسهاماً هاماً في رفض الحدود الإقليمية التي اختطتها القوات الأجنبية في بلادنا، وفي الوقت نفسه، ظهرت " جمعية العروة الوثقى " جمعية طالبية في الجامعة الاميركية في بيروت لتقوم بنضالات جامعية وسياسية ونقابية، وضمت في صفوفها كثيراً من الطلبة الفلسطينيين والعرب ، وخاصة بعد نكبة العام ١٩٤٨ . وقد تمكن هؤلاء الطلاب، بنشاطهم وحماسهم، من أن يوظفوا هذه الجمعية لنشر الفكر القومي، وتعبئة الطلاب أولاً ، ثم الجماهير الشعبية ثانياً ، للرد الفوري على هزيمة العرب في فلسطين . وفي أوائل العام ١٩٥١ تحولت اللجنة التنفيذية لجمعية العروة الوثقى . و بطلب من رئيسها آنذاك جورج حبش، إلى منظمة قومية سرية جديدة ، وأعني بها " حركة القوميين العرب" .

يشمل موضوع البحث حقبة تمتد الى ما يزيد على عقدين من الزمن أي من العام ١٩٤٨ لغاية العام ١٩٧٠ . وشكلت الأعوام الأربعة الأولى الجينات التي ولدت منها " حركة القوميين العرب " ، والتي تأسست في العام ١٩٥١ . استمرت " حركة القوميين العرب " في نموها مؤثرة ومتأثرة بالأحداث السياسية والفكرية والاجتماعية والتنظيمية التي شملت الوطن العربي بكل أقطاره تقريباً ، رافعة شعارات : " وحدة الأمة العربية و تحررها من الاستعمار، و الثأر من اليهود " . مرت " حركة القوميين العرب " بأربعة أدوار هي :

١- رحلة الولادة .

٣- رحلة المد و الانتشار.

٣- رحلة التأثير في الأحداث العربية.

٤- رحلة الانشقاق والانهيال.

حركة القوميين العرب

فيما شكل العام ١٩٦٩ استكمالاً لانشقاق " حركة القوميين العرب " ، وتحولها الى منظمات
ماركسية في أقطارها ، حيث واصلت فروعها الفلسطينية نضالها الوطني على طريق تحرير
فلسطين، وكرس العام ١٩٧٠ تصفية " حركة القوميين العرب " شكلاً ومحتوى واسماً .

تأثرت ولادة " حركة القوميين العرب " بنكبة فلسطين العام ١٩٤٨ . حيث أن مفاعيل هذه النكبة
حركت بقوة، دافعية عدداً من طلاب الجامعة الاميركية في بيروت (جورج حبش، هاني الهندي،
وديع حداد وأحمد الخطيب) والذين أصبحوا فيما بعد القيادة المؤسسة " للحركة " ، للقيام بتأسيس
تنظيم قومي بهدف تحرير فلسطين . كما تأثرت هذه الولادة ايجاباً بانطلاقة الحركة الناصرية
وتبلورها، ونموها. انتقلت " الحركة " من الطور القومي العربي، الى الطور العربي الاشتراكي
، الى الطور الماركسي . هكذا أصبحنا أمام حركة سياسية عربية بدأت بشكل وانتهت بآخر، لذا
فهي ظاهرة حرية بالدرس والنقاش) .

ولدت " حركة القوميين العرب " ، في جو نفسي، سياسي، شعبي، ونخبوي ، وفي وقت كانت فيه
محنة فلسطين في وجدان كل انسان عربي، فجاءت رد فعل فوري على نكبة فلسطين العام
١٩٤٨، تستهدف اعادة الكرامة والشرف ، وإزالة الذل والعار الذي لحق بالعرب بعد هذه
الهزيمة . هكذا، كانت " الحركة " أول من رفع راية العودة ، أي عودة الشعب الفلسطيني
المشرد الى دياره ، وعودة فلسطين الى أصحابها الشرعيين . ولما كان ذلك غير ممكن إلا
بالنضال المسلح، بات الثأر هو شعار " حركة القوميين العرب " في سنيها الأولى ، وقد عنى
كفاحاً ونضالاً أكثر مما عنى مجرد اقتصاص أو انتقام من أعداء الشعب الفلسطيني ، فكان الثأر
هو الحرب والقتال والنضال ، وإنما صيغ ذلك برمز الثأر التقليدي .

شكلت " حركة القوميين العرب " جزءاً أساسياً من الفكر السياسي العربي الذي عرف رواجاً
كبيراً . منذ بداية الخمسينيات حتى حرب حزيران العام ١٩٦٧، ودراستها تلقي ضوءاً على واقع
الاحزاب السياسية العربية ، وحالات الصعود والهبوط ، والانطفاء أحياناً ، التي كانت تمر بها
الأحزاب العربية. ودراسة " حركة القوميين العرب " . هي كذلك دراسة لجزء من التاريخ
العربي المعاصر الذي منى باخفاقات عديدة . كما يقدم البحث صورة عن تجربة سياسية ،
لمجموعة من الشباب العرب ، هدفت الى تغيير الظروف السياسية والاجتماعية في الوطن
العربي بعد نكبة العام ١٩٤٨ .

تمايزت " حركة القوميين العرب " على الأحزاب القومية الأخرى بمدى ادراكها لطبيعة الخطر
الصهيوني، وتركيزها على شعار تحرير فلسطين، وشكل الاهتمام بالقضية الفلسطينية ، إلى
درجة كان معها شعار " الثأر " أو " استرداد فلسطين " أبرز السمات النظرية " للحركة " .
يهدف هذا البحث الى كشف نشأة وتطور حركة القوميين العرب ومقدار ما نالت القضية
الفلسطينية في مواقفها على ضوء همومها العديدة ، على امتداد الوطن العربي، ومدى تأثير دعمها
للقضية الفلسطينية بالمشكلات العديدة التي تعرضت لها " الحركة"، والتي أدت في النهاية الى
انشقاقات عديدة في جسمها.

كما يهدف هذه البحث إلى كشف ما مثلته " حركة القوميين العرب " من دور ووظيفة في مجمل
التكوين الاجتماعي-الاقتصادي- والسياسي في الوطن العربي . أعرف أن هذا طموح لا يمكن

أن تحققه هذه الدراسة، ولكن هذا العمل سيضيء الطريق أمام باحثين جدد يأخذون هذه المهمة على عاتقهم .

ظلت تجربة "حركة القوميين العرب" بمنأى عن الاهتمام الدراسي الجدي حتى العقد الأخير من القرن الماضي، إذ قام بعض الباحثين ممن كان ينتمي "للحركة"، وممن لم يكن منتمياً إليها بتناول هذه التجربة بالبحث والنقد والتحليل، فوفقوا في جوانب وأخفقوا في أخرى ، ولكن كان لما كتبه أثر كبير في تناول هذه التجربة من قبل باحثين جدد يكملون جهد من سبقهم في هذا الباب. إن أول من تناول "حركة القوميين العرب" بالبحث هو أحد قادتها (باسل الكبيسي) الذي أنجز بحثه باللغة الإنكليزية بتاريخ الثاني والعشرين من كانون الأول العام ١٩٧١، على شكل رسالة قدمها إلى الجامعة الأميركية بواشنطن، وقامت زوجته (نادرة الخضير الكبيسي) بتعريبها بعد استشهاده، وأنجزتها قبل وفاتها هي وأولادها الثلاثة في حادث تحطم طائرة كانت تحملهم في طريق العودة إلى دمشق في صيف عام ١٩٧٥. تناول (باسل الكبيسي) في بحثه الخلفية التاريخية وظهور "الحركة"، وأثر الثورة المصرية منها، والجانبين التنظيمي والفكري وعند ذكره فروع "الحركة" لم يشر إلى فرع فلسطين ، ولم يركز في دراسته على موقف "الحركة" من القضية الفلسطينية.

وفي العام ١٩٧٥ وضع (وليد قزيها) كتابه باللغة الإنكليزية "التحولات الثورية في العالم العربي" . تناول فيه الخلفية السياسية والثقافية لظهور "حركة القوميين العرب" وبناءها التنظيمي والأيدولوجي وتحولها إلى اليسار، ولم يبرز كثيراً موقف "الحركة" من القضية الفلسطينية.

كما وضع (إبراهيم أبراش) رسالته لنيل دبلوم دراسته العليا في القانون العام في جامعة محمد الخامس : كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية في الرباط عام ١٩٨١ بعنوان "البعد القومي للقضية الفلسطينية" تناول فيها من الناحية القانونية ظهور "الحركة" وتطورها الفكري وتحولاتها السياسية ، والعلاقات القطرية والقومية في النضال الفلسطيني . أشار الكاتب في المبحث الثاني من الفصل الثاني إلى بروز الشخصية الفلسطينية المستقلة ، وفي المبحث الأول من الفصل الثالث : إلى واقع القضية الفلسطينية بعد حرب حزيران عام ١٩٦٧، وتناول في المبحث الثاني من فصله الأخير موقف "الحركة" من القضية الفلسطينية بعد تعرضها للانشقاقات ونمو اليسار الفلسطيني . وتشكل الدراسة بحثاً قانونياً تحليلياً للقضية الفلسطينية، ولكنها لم تكن دراسة تاريخية لهذه "الحركة" على الرغم من تناولها بعض المحطات التاريخية في تطورها ارتباطاً بالقضية الفلسطينية.

كما أن الباحثة (سهير السلطي التل) في كتابها "حركة القوميين العرب وانعطافات الفكرية" الصادر في بيروت عام ١٩٩٦، لم تشر إلا قليلاً إلى فرع فلسطين في الفصل الأول ، كما تناولت الجبهتين الشعبية والديمقراطية وتبنيهما للماركسية في الفصل الرابع ، لكنها لم تذكر إلا فقرة صغيرة عن القضية الفلسطينية ومركزيتها في الخاتمة ، وأعطت جل اهتمامها لتطور فكر "الحركة" من القومية المثالية إلى "القومية الاشتراكية"، انتهاءً "بالماركسية اللينينية".

وفي العام ١٩٩٧ وضع الباحث (محمد جمال باروت) بتكليف من المركز العربي للدراسات الإستراتيجية الذي يشرف عليه الرئيس اليمني الجنوبي السابق علي ناصر محمد كتابه : "حركة القوميين العرب: النشأة، التطور، والمصائر" تناول فيه أطوار ظهور "الحركة" وعلاقتها

حركة القوميين العرب

بالثورة المصرية، ونشاطها في العراق واليمن- غطى الكتاب بمزيد من التفصيل- الأحداث في هذين القطرين- وتناول في الفصل السادس من القسم الثاني تشكيل الفرع الفلسطيني للاهتمام بالقضية الفلسطينية ، وأشار قليلاً في الفصل الثاني من القسم الرابع إلى الجبهتين الشعبيتين والديمقراطية وتبنيهما للكفاح المسلح وذلك عند حديثه على الانشقاقات في "الحركة" وفي الفصل الثالث والأخير من القسم الرابع ذكر قليلاً جداً عن القضية الفلسطينية عند تناوله المصير الذي آلت إليه "حركة القوميين العرب".

أما (فاضل الربيعي) فقد وضع كتابه : " كبش المحرقة : نموذج لمجتمع القوميين العرب " الصادر في بيروت في كانون الثاني عام ١٩٩٩ الذي جاء عبارة عن دراسة سوسيولوجية رمزية لواقع المجتمع العربي ومجتمع "حركة القوميين العرب " باعتبارها جزءاً من الواقع القائم ، فتناول البناء الداخلي "للحركة" ونظامها الحديدي، وكتائب الفداء العربي، "والحركة" في العراق وسورية، والعلاقة مع عبد الناصر، والانشقاقات ، وما ذكره عن القضية الفلسطينية تناول :

- التدريب العسكري لعناصر " الحركة " بمساعدة من عبد الناصر.

-- موقف المسيحيين الفلسطينيين من " الحركة " والقضية الفلسطينية.

- تحول " الحركة " الى المخيمات الفلسطينية لكسب عناصر جديدة.

- تجربة الفصائل الفلسطينية (١٩٧٥-١٩٨٢) منتقداً تعاطيها مع القضية الفلسطينية.

- انتقد التعاطي العربي الرسمي مع القضية الفلسطينية : " لقد آن الأوان بالفعل لنزع القداسة الزائفة التي أضفاها النظام العربي على فلسطينيته " .

ووضع الباحثان : هاني الهندي، وعبد الإله النصراوي - الاول من مؤسسي " الحركة" والثاني أحد قياديينها- الأجزاء الأربعة من كتابهما الأول: " حركة القوميين العرب: نشأتها وتطورها عبر وثائقها (١٩٥١-١٩٦١) " .

تناول الجزء الأول الذي صدر في بيروت عام ٢٠٠١ نشوء " الحركة " وتطورها وعلاقتها بالثورة المصرية ، ولكنه لم يشر الى فرع فلسطين عند ذكره فروع " الحركة " ، وما ورد فيه عن القضية الفلسطينية هو أربع صفحات تناولت : الاتحاد القومي لعرب فلسطين، بالإضافة الى تعميم واحد ورد في الوثائق حول "مخططنا لقضية فلسطين " .

أما الجزء الثاني : الذي صدر في بيروت عام ٢٠٠٣ فتناول الأدبيات السياسية و الفكرية :

١- الكتب: خمسة كتب، تناول أحدها " اسرائيل : فكرة... حركة ... دولة " القضية الفلسطينية.

٣- المحاضرات: خمس محاضرات تناولت احداها " تطور الأهداف السياسية للقومية العربية " القضية الفلسطينية.

٣- التعميمات: تناولت الأوضاع في العراق والجمهورية العربية المتحدة ، ولم يذكر عن فلسطين سوى ثلاثة أسطر وردت في تعميم آذار عام ١٩٥٩ .

٤- البيانات في الأقاليم : تناولت الانتخابات النيابية في لبنان، أحداث الجزائر، العراق، البحرين والكويت.

وصدر الجزء الثالث في بيروت عام ٢٠٠٣ وشمل:

١- تقارير وتعميمات : عددها ستة وجميعها عن الشيوعية.

٢- كراسات وعددها ثلاثة لم تتناول القضية الفلسطينية.

٣- كتاب "الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية" تناول الحركة القومية والحركة الشيوعية، موقف الشيوعية المحلية من القومية العربية والوحدة العربية ، وموقف الشيوعية المحلية من معركة العرب التحررية، وقد تم تناول القضية الفلسطينية في القسم الثالث من هذا الكتاب تحت عنوان: "الشيوعية المحلية وقضية فلسطين " حيث أشير إلى موقف الشيوعية المحلية من قضية فلسطين قبل قرار التقسيم عام ١٩٤٧، وأثناءه وبعده، وبعد نكبة العام ١٩٤٨ .

ومؤخراً صدر الجزء الرابع في بيروت عام ٢٠٠٤، تضمن الموضوعات التالية : التثقيف الداخلي، الشؤون التنظيمية والمالية، العمل الشعبي وتعميمات وبيانات متفرقة.

من المؤسف أن يكون موقف بعض القادة المؤسسين "الحركة القوميين العرب " غير مشجع على تناول هذه التجربة، والإضاءة لجوانب عديدة من مسيرتها. وكان موقف هؤلاء يتراوح بين معتر بها بشكل أو بآخر، وبين من يعتبرها "سيئة الذكر" أو أنها صارت "في ذمة التاريخ " ، وعند مراجعة بيانات الانشقاق عن الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وريثة "حركة القوميين العرب " أو امتد ادها العضوي والطبيعي، أو بيانات "الحركة" ذاتها ، يلاحظ أن تلك البيانات تتصل من "الحركة" أمام بريق الماركسية في حينه ، والتي لم تصمد بدورها زمناً طويلاً ، كل ذلك أدى إلى تخييب "حركة القوميين العرب "، والى إحاطتها بستار شديد من الكتمان وعدم الاهتمام .

لذا، نجد لزاماً علينا قراءة هذه التجربة وتحليلها واستخلاص دروسها، بعد أن أحيطت بالكتمان الشديد لسنوات عديدة، بعدما تراكم حولها كثير من سوء الفهم، والنزعات الذاتية، واللغط ، والإبهام ودراسة التجربة من زاوية شخصية . مع ضرورة إبراز موقف "الحركة" من القضية الفلسطينية- وهي الموضوع الرئيس في الرسالة في البحث- نظراً لما لحق بها من إغفال في كتابات الباحثين عن "الحركة". هل بالإمكان قراءة تجاربنا القومية قراءة أكثر هدوءاً، وأكثر عمقاً؟ أمل أن يكون بحثي هذا، يحمل شيئاً جديداً في هذا المجال .

يشكل هذا البحث محاولة متواضعة، حاولت فيها بكل إرادة أن أسلك طريق الحقيقة، وأن ألتزم منهجاً تحليلياً ، علمياً ، موضوعياً ، ونقدياً يواكب كتابتي من أول البحث إلى آخره، منهجية علمية جديدة وواضحة تبحث في الماضي سعياً وراء كشف معرفة موضوعية، دون التحامل أو الانحياز لهذا التيار أو ذاك ، سواء لأسباب ايديولوجية أو تنظيمية أو سياسية أو قطرية. اعتمد البحث على مادة وثائقية معقولة ، ولجأ إلى مقابلات شخصية متعددة ، بما يمكنني من نقد التجربة ومعالجتها من زاوية رؤيتي الشخصية ، باذلاً قصارى جهدي في أن تأتي الرؤية للماضي سليمة، وللمستقبل مرشدة وواحدة .

حل البحث مواقف "حركة القوميين العرب" في مختلف الموضوعات عبر وثائقها، والعديد من المصادر والمراجع والمقابلات واستبانة تجربة "حركة القوميين العرب" من قبل عدد من كوادرها، ليقدّم من خلال المنهجية المتبعة إسهاماً جديداً يحمل إضاءة للأجيال الشابة التي لم تعش هذه المرحلة.

تحظى الثقافة الشفهية في مختلف الحركات السرية بأهمية فعلية، تتجاوز أحياناً أهمية الثقافة المكتوبة، لأن الثقافة المكتوبة، لا تعبر في بعض الحالات عن حقيقة ما كان ينفذ فعلاً من عموم السياسات التي تنتهجها أي حركة سياسية. لذلك كان للمقابلات التي تمت مع بعض قياديين وكوادرها "حركة القوميين العرب" دور مهم في كشف أو تصحيح أو توضيح أو إضافة كثير من المعلومات التي تفيد أي باحث ومحلل يود تقديم تجربة حركة سياسية بما لها وما عليها.

كون "حركة القوميين العرب" منظمة سرية، ذات تربية حزبية صارمة، وهيكلية تنظيمية قائمة على المركزية المطلقة، يقودنا إلى صعوبة في الحصول على العديد من الوثائق التي يعتبر قادة، "الحركة" وكوادرها أنها تقع في دائرة الإستراتيجية العليا! أو في دائرة الحذر الشديد. وهذا لا يسمح لهم بكشف مثل هذه الأسرار، أو التفريط بالأمانة والمسؤولية الحزبية، أو يخشون من كشف معلومات لا يريدون كشفها الآن. يضاف إلى هذه الصعوبة حصرية المعلومات في إطار ضيق وفق اختصاص أو مسؤولية هذا القائد أو الكادر، إذ ينذر وجود قائد أو كادر يلم بكل نشاطات "الحركة" في عموم فروعها ومجالات عملها. ويلمس المرء من خلال مواقف العديد من القياديين والكوادرها تبايناً في التعاطي مع ما آلت إليه تجربة "حركة القوميين العرب" بين معترز ومفاخر بها، ومتحمس للحديث عنها، ويعتبرها من أهم الحركات القومية في التاريخ العربي الحديث، وبين من يتنصل من انتمائه لها: لأنه يعتبر ذلك تهمة سيئة، وأنها حركة فشلت وسقطت وماتت وأصبحت في ذمة التاريخ.

يحتاج الحصول على وثائق "حركة القوميين العرب"، أو الوصول إلى جهد دؤوب، ومتابعة، ومعرفة ببعض الكوادرها ومدى ثقتهم بالباحث، بالإضافة إلى كون الوثائق موزعة بين أشخاص ومراكز متعددة ومتباعدة، بعضها لا يزال مكسباً في صناديق أو أكياس دون أرشفة أو تنظيم، وبعضها الآخر تم إعداده في ملفات ووسائل علمية حديثة، ولكن في كلا الحالتين تواجه الباحث الصعوبة نفسها للحصول على القدر الوافي منها وهذا ما عاناه الباحث وليد قزيبها عند كتابة أطروحته. ومن خلال العلاقة الوثيقة بالعديد من القيادات والكوادرها التاريخية والمؤسسة لـ "حركة القوميين العرب" تمكنت من الوصول إلى بعض الوثائق والدراسات والتعميمات والمقالات والكتب، وأجراء بعض المقابلات الشخصية، فكانت جميعها خير معين لي في إنجاز هذا البحث بالمستوى الذي أقدمه، على الرغم من أنه لو أتيت لي الفرصة للاطلاع على أكثر من ذلك، وفي مجالات عمل محددة لكانت النتائج أفضل، والوقفة التحليلية النقدية أعمق وأشمل.

سأعمل جاهداً من أجل أن يجيب بحثي عن تساؤلات عديدة أهمها:

- هل جاءت انطلاقة "الحركة" متسرعة وغير ناضجة، أم كانت ضرورية وفي وقتها المناسب؟
- هل لوانضجت أفكار المؤسسين أكثر، وتمكنوا من الوصول إلى نظرية فكرية، وبرنامج سياسي، لجاءت النتائج أفضل؟

حركة القوميين العرب

- هل كانت "الحركة" بمستوى نكبة فلسطين، وقدمت عملاً ملموساً لقضية فلسطين؟
- هل الشعارات التي طرحتها "الحركة" كانت قادرة على تعبئة أكبر قطاع من الجماهير العربية؟
- هل ما أنجزته "الحركة" على الصعيد الفكري تمكن من الإجابة عن حاجات الأمة العربية وهمومها؟
- هل تمكنت "الحركة" من ربط العاملين الوطني والقومي بطريقة جدلية صائبة ، وأفاد القضية الفلسطينية؟
- هل بقيت القضية الفلسطينية الهدف الرئيس لـ "الحركة" أم تراجع الاهتمام بها في بعض الفترات؟
- ما مقدار توظيف "الحركة" لرؤيتها في المجالات التنظيمية والسياسية والفكرية والنقابية في خدمة القضية الفلسطينية؟
- كيف انعكست الانشاقات في جسم "الحركة" سلباً على القضية الفلسطينية؟
- هل يمكن لهذه التجربة أن تؤسس لعمل قومي جديد، يعطي القضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى ما تستحقه من دعم واسناد حقيقيين، إذ ا ما تمت الاستفادة من دروسها؟
- هل حققت "الحركة" الأهداف التي وضعتها لنفسها؟ وهل قدمت كل ما يلزم من شروحات وتفاصيل عن مواقفها ومفاهيمها؟
- أصبحت الحاجة ماسة من أجل مواصلة الدراسات التحليلية والنقدية لتاريخ الحركة القومية العربية، لتتضافر هذه الجهود في كشف جزء هام من تاريخنا العربي الحديث، وما تضمنته هذه التجربة من إخفاقات ونكسات، وما أنجزته من انتصارات واضاءات. إن هذا البحث هو جهد على الطريق الطويل، أمل أن يضيف جديداً في دراسة الفكر القومي العربي وحركاته المتعددة، وفي كشف الدور الذي مثلته هذه الحركات في تاريخ القضية الفلسطينية، التي لا تزال جذوة نارها ملتهبة حتى الساعة.
- ختاماً ، أسجل شكري العميق لكل الذين فتحوا الطريق أمامي للوصول إلى أكبر قدر من الوثائق الخاصة بـ "حركة القوميين العرب" ، وسهلوا إجراء المقابلات الشخصية التي مكنتني من العودة إلى جذور "الحركة" ، وسمحوا لي بالاستفادة من أفكارهم وآرائهم وتوجيهاتهم . وسيكون لهذه المساعدة المشكورة، دور مميز في امتلاك حقيقة "حركة القوميين العرب" وما مثلته في التاريخ العربي المعاصر.